بسم الله الرحمن الرحيم
جمهورية العراق

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
&SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF AL-QADISYA
COLLEGE OF EDUCATION
AL-QADISIYA JOURNAL FOR
EDUCATIONAL SCIENCES
ISSN 2519-6162 ONLINE - PRINT ISSN 2518-9174

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية
مجلة القادسية في الآداب
والعلوم التربوية
التصنيف الدولي :

العدد / ٣٦٨
التاريخ / ٣ / ٥ / ٢٠٢١

إلى / أ.م.د. رواء نعاس الخزاعي المحترمة
جامعة القادسية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
م.م. إبراهيم خليل عجيل المحترم
جامعة القادسية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

م / قبول نشر

تحية طيبة .

يسر هيأة تحرير مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية أن تعلمكم بقبول نشر بحثكم الموسوم بـ (الذخيرة الثقافية "التنشئة البينية ودورها في نتاج زيد الشهيد") ، وسيتم نشره في الأعداد القادمة .

مع التقدير.

أ.د.سرحان جفات سلمان
رئيس التحرير
٣ / ٥ / ٢٠٢١

نسخة منه إلى:
- أمانة التحرير.
- الصادرة .
- وحدة الرقابة.

البريد الالكتروني: journal of alaqadisia@yahoo.com
journal of alaqadisia@yahoo.com

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية/ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الذخيرة الثقافية التنشئة البيئية ودورها في نتاج زيد الشهيد

م.م. إبراهيم خليل عجيل

جامعة القادسية- كلية الآداب

أ.م.د. رواء نعاس

جامعة القادسية- كلية الآداب

١٤٤٢هـ

٢٠٢١م

Ibrahimkhaleel1977@gmail.com

المقدمة

للأديب روافد متنوعة، تلازمه، وتحيط بنتاجه الادبي، أذ من خلالها ينهل الافكار والرؤى حتى تتجسد في نهاية المطاف مكوّنة عملاً ادبياً تتمازج معه كل المقومات كي يكون مأدبة للقراء، فالدور الذي يشغله "الكون العمري" منذ الصبا من مخالطة وقراءة في اماكن مختلفة مبتدأ من البيت باعتباره البيئة الاولى للأديب إلى الشارع والمدينة والصالونات الادبية، والادباء يختلفون في هذه التنشئة فهم على مستويات متفاوتة وهذا يجعل كذلك الاعمال الادبية متفاوتة في جماليتها الفنية والذوقية، الاديب زيد الشهيد لم تكن تنشئته محلية فقط انما عبرت الحدود من خلال امرين الاول الترجمة بوصفه استاذ في الترجمة والثاني من خلال السفر والترحال في ازمان مختلفة، انعكس هذا التطلع على نتاجه الروائي فلم يكن مقل في النتاج انما كثرت نتاجاته وتنوعت بين الرواية والقصة والشعر وهذا ما كان ملموس من خلال قراءتك لهذه النتاجات فالإرث الثقافي الذي رافقه استجابة ثقافية كونت لديه اعمال ادبية رائعة.

abstract

The writer has various tributaries that accompany him and surround his literary output, as through them he draws ideas and visions until they materialize in the end, forming a literary work that mixes with him all the ingredients in order to be a banquet for the readers. The house as the literary’s first environment to the street, the city and the literary salons, and writers differ in this upbringing, they are on varying levels, and this also makes literary works vary in their artistic aesthetics and taste. Translation and the second through travel and travel in different times

This aspiration was reflected in his novel's output, and it was not a matter of concern in the product. Rather, his productions increased and varied between novel, story and poetry, and this was tangible through your reading of these products, as the cultural heritage that was accompanied by a cultural response that made him have wonderful literary works.

المبحث الأوّل: الأصل الثقافي والتنشئة البيئية

السجل الثقافي لا يأتي من ركود أو سبات، إنَّما من خلال خوض غمار القراءة "الاطّلاع" " التنشئة" سواء كانت هذا الاطلاع ذو طابع محلّي متمثّلاً ببيئة الأديب، أو الاطّلاع الخارجي المتمثل بالرحلات والبعثات والقراءات والسفر فهذهِ التجربة التي يمضي فيها الأديب لسنوات عدّة يخطها على قرطاس، فلمعرفة الكاتب عليك أنْ تتوجه إلى (فعله الكتابي) وعلى اعتقاد " رولان بارت" ((إنَّ الكتابة واجب محترم))[١].

والذخيرة أو السجل النصي نلاحظها عند " آيزر" ((مجموعة المواصفات التي يمتصها النص من عناصر معلومة سابقاً، ولا ترتبط تلك العناصر بالنصوص السابقة إنما تتصل بقوة أكثر بالمعايير، والقيم الاجتماعية والسوسيو ثقافي الذي يتحدد منه النص))[٢].

كما أنَّ الأفق المرجعي الذي يستعين به الكاتب " زيد الشهيد" لتأثيث عوامله الإبداعية هو واسع وممتد، وكذلك مفتوح على ثقافات وأنماط مختلفة " محلية– عربية – أجنبية" ومفتوح أيضاً على الكثير من الأسئلة وإذا أراد القارئ البحث عن جواب لتلك الأسئلة داخل النص الأدبي فإنَّه ((الكاتب يقوم بصياغة تلك الأسئلة على شفاهنا نحن القرّاء))[٣].

((وهما يضعان خطوهما على دكة باب الدخول للبيت همست في أذنه مع ضحكة مكتومة: أتدري أنَّ هناك من يشكك بأنَّ شكسبير ليس هو مؤلف كل هذا الإبداع الإنساني في المسرحيات والشعر... غيره من كتبها ودفعه لإعلان أنَّها من فيض خلقه، بدليل أنَّ لا مكتبة سنشاهد في البيت ولا كتاب سنرى. ولم يكن هذا الذي تعظمه بلادنا وتحتفي به الأمم سوى كومبارس بسيط))[٤].

ومن ضمن السجل النصي "الذخيرة" التي تُعد أحد السُبل التي تجعل الأديب يلجأ في كتاباته، حتى أنَّ ابن خلدون يؤكد على أهمية الحفظ لمن يريد الكتابة " الشعرية–

النثرية" "فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر، وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية بمخالطة العلو"[٥].

ويأتي ((الانتحاء Tropism تعبير مأخوذ من علم الحياة يعني توجّه أو تأقلم كائن حي عضوي عبر النمو أو تحديد استجابة لمؤثرات خارجية في الأدب، يعتبر "الانتحاء" رد فعل قسري تمليه المؤثرات الخارجية على الإنسان وهو يشير إلى الأفكار وانفعالات النفس عند الشخصيات التي لا ينطق بها الإنسان في مونولوج داخلي ولا تشغلها إلّا الاحساسات، أي هو الأشياء التي لا تقال والحركات التي تعبر عن وعي الشخصيات بطريقة عابرة مبهجة))[٦].

وسبل المثاقفة متنوعة ومختلفة فـ((المثاقفة Acculturation مصطلح سوسيولوجي يطلع على دراسة التغيير الثقافي الذي يحصل ويتحقق نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات (كالترجمة، والقراءات، والرحلات، الاستعمار) إذ تؤدي المثاقفة إلى اكتساب عناصر جديدة لكلتا الثقافتين المتصلتين))[٧] .

فمنها ما تكون " ثقافة حوارية" المتمثلة في تفعيل الآراء بين الثقافتين المختلفتين من خلال لقاء ناصع البياض، ومنها ما كانت " المثاقفة الصِدامية" نجد في هذهِ المثاقفة غلبت القوي على الضعيف، أعني الصدام الذي بين الحضارتين الشرقية والغربية، إذ تلاحظ في هذا الصراع أو الصدام ثوابت يلتزم بها ابن تلك الحضارتين.

((ويحل " ت. س. اليوت" عملية المزج الثقافي/ التثاقف التي تحدث بين ثقافتين أحداهما غالبة والأخرى خاضعة، فيرى أنَّ مشكلة المستعمرات تمثل مشكلة العلاقات بين ثقافة وطنية أصيلة وثقافة أجنبية، وذلك عندما تعرض ثقافة (أعلى) على ثقافة أجنبية (أدنى) وكثيراً ما تصبح القوة وسيلة إلى ذلك وهي مشكلة تتخذ أشكال كثيرة فثمة مشكلة تبرز عندما تكون الثقافة الوظيفية قد بدأت تتحلل فعلاً تحت تأثير الثقافة الأجنبية مما يصعب معه التخلّص من تأثير تلك الثقافة ومن ثمّ طردها وبهده الطريقة تظهر أنماط من التعاطف الثقافي))[٨].

موسوعة علم الإنسان تترجم التثاقف أو المثاقفة بـ(التكيف الثقافي) الذي يعني ((تلك الظواهر التي تنتج عندما يحدث اتصال ثقافي مباشر بين جماعات ثقافية مختلفة وما يترتب على ذلك من تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية لهذهِ الجماعات))[٩].

((وفي ظل الجذب والشد هذهِ، صار ثمة مشروع وسطي يتقبل النموذج الغربي من دون أنْ ينسى العمق التاريخي للثقافة العربية، يتقبل المنهجية الحديثة ولا يجعلها سيداً على وعيه وآلياته المشحونة بقوة اللغة والبلاغة القديمين))[١٠].

المبحث الأوّل: الأصل الثقافي التنشئة البيئية ودورها في نتاجه الروائي

الإنسان لا يكون له منبع ثقافي واحد ينتهل منه نتاجه الكتابي بوجه الخصوص والمنابع الثقافية متنوعة ومختلفة تتناسب مع العقل البشري والسلوك ومنها البيت أو البيئة التي عاش فيها أو يسكن فيها الأديب.

لكلّ منا بيئة اعتاد وعاش فيها وهذهِ البيئة بمثابة وعاء يحيط بنا عبر مدة زمنية طويلة الذي يهمنا هنا هي بيئته الأديب وكيف كانت عاملاً مساعداً في تكوين " ذخيرته" الإبداعية، إذ لا يوجد مبدع خلى نتاجه الأدبي من وصف أو توظيف أو استشهاد في كتاباته فهي بمثابة محفزات تنير طريق الكاتب... وهذا ما وجدناه في نتاج " زيد الشهيد" فهو من الأدباء الذين عشقوا مدنهم وبلدهم رغم قساوة الظروف في ذلك الوقت. فالبيئة لها دور بارز في تأثيث عوالمه ومخياله الأدبي وليكن البيت المحطّة الأولى في التنشئة.

- **البيت:**

يصفه (باشلار) ((يركز الوجود داخل حدود تمنح الحماية))[١١].

إنّنا نعيش لحظات البيت من خلال الأدراج والصناديق والخزائن التي يسميها باشلار "بيت الأشياء" . يقول (بول إيلوار)[*]: ((عندما تلتقي قمم سمائنا، سوف يكون لبيتي سقف))[١٢]. فالبيت مكامن لنهل المعرفة اعتماداً على صحيفة تشترى أو كتاب يقرأ

فالكثير من الروائيين تصدرت في رواياتهم منازلهم وأعطوها وصفاً دقيقاً وأنت تقرأ تجد نعمائه" كيف كانت بيت العمّة محط للذكريات ((**غبَّ زمن زاد على العام صار بيت العمة دالة واسماً لا يهرب من الذاكرات**))[١٣].

((فالرؤية الفلسفية للأدب والشعر أننا "نقرأ الحجرة" و "نكتب الحجرة" أو "نقرأ البيت" ... فإنَّ منذُ الكلمة الأولى... يضع القارئ الكتاب ثمَّ يسترجع مكاناً ينتسب إلى ماضيه))[١٤].

البيت الذي عاش فيه الشهيد منذ صباه فيه أكثر من ضياء وسراج نبدأ من أبيه الذي كان محباً للقراءة غرس فيه (الأصالة الثقافية) منذ الطفولة وفي محاورة جرت بيني وبين الشهيد قال لي: أنَّني تعوّدت على مصاحبة أبي منذُ طفولتي وكانت هذه المصاحبة كل عيد فطر يذهب مع أبيه إلى النجف وكربلاء والكاظمية تبدأ بزيارة الإمام علي" عليه السلام" ثمَّ ينتقل إلى شارع الرسول يجول في المكتبات وفي يده ورقة صغيرة يسجّل فيها اسماء كتب يريد أنْ يبتاع ما يجده منها لا يتملل في سؤال عن شراء الكتب ينتقل من مكتبة إلى أخرى .

فجاءت هذه الزيارات موظّفة على لسان أحد الشخصيات في رواياته ((**ففي واحدة من سفراتنا لكربلاء نزلنا في نُزل تديره أُم شاهناز امرأة أعجمية من إيران، حفيدة أحد جنود نادر شاه الذي قدم من بلاد فارس واستوطن بعضهم قريباً من المراقد الشيعية في كربلاء والنجف والكاظمية تؤجر غرفاً للمسافرين والقادمين لزيارة الحسين والعباس..**))[١٥].

ثُمَّ السراج الآخر أخوته الذين يكبرونه فهماً، من محبي القراءة وهذا ما كوّن مكتبة تحمل مجلدات لكثير من الكتب، كان همّه سرعة التهام هذهِ المجلدات حتّى وجد نفسه ازاء رواية بمجلدين مُذهبين كانت تحمل عنوان (رُدَّ قلبي) ليوسف سباعي وبعدها ديوان (عنترة بن شداد) و" هكذا تكلم زرادشت " لنيتشه أو " البؤساء " لفيكتور هوغو وقصة " مدينتين " لتشارلز ديكنز.

((سُعدت لأن هاشم يحتفي بها. لكأنَّ ذوقينا متشابهان فهذه اللوحة ادهشتني كثيراً عندما اشتريت قبل اربعة اعوام كتاباً ملوناً بالورق الصقيل والغلاف السميك عنوانه "حياة واعمال غوستاف كليمت، ضمن سلسلة حياة واعمال عظماء الرسامين، وهي سلسلة تولّت مؤسسة باراغن على عاتقها طباعة ونشر مقدمة قصيدة وسيرة ذاتية مختصرة للفنان))[١٦] .

لا نطوف بعيداً عن فناء البيت وما يشكله من كثافة من الصور تعطي للإنسان القدرة على الاسترجاع والادلة والبراهين عن تصورات اعتكفت أو اضمحلت بمجرد ورود علامة ما من البيت تعاد هذه التصورات بعدما مرّت بسبات وغيبوبة طويلة، فالكاتب في مشروعه الكتابي يتذكر اقصى درجاتها " فلاش باك " هذا المنظر أو ذاك المنظر سواء كان صغيراً أو كبيراً، يتذكر " رنّة الهاتف " أو انقطاع مداد قلمه حتى الوقت وحتى نوع الكتابة " الكتابة الورقية " أو " الالكترونية " ولا سيما زيد الشهيد من المؤمنين الذين يرون أنَّ الكتابة الورقية ستضمحل وتأتي الكتابة الالكترونية ويضع " القلم والورقة " في المتاحف [١٧].

فالبيت كان بمثابة " الايقونة الثقافية " التي لم تكن رمزاً أو شعاراً أو صورة، بل كان البيت نفسه بمثابة الايقونة الثقافية.

كان البيت بالنسبة لزيد الشهيد بمثابة " الذاكرة الثقافية " (Cultural Memory) التي عرفها (آسمان) (البعد الخارجي للذاكرة الانسانية) الذي تناول هذا التعريف فكرتين

الاولى: ثقافة الذاكرة.

الثانية: الاشارة إلى الماضي[١٨].

فالشهيد يحاول إعادة الانتاج الثقافي الذي حصل عليه من خلال نتاجه الروائي وعلى اعتبار أنَّ الرواية جنس أدبي يلتهم كل ما يلقى اليه فيأتي الأديب موظفاً ما

حصل من " عتاد اكاديمي " في نتاجه **((ولم يأتي نهار اليوم الثاني الّا وفسيلة نخلٍ تأتي بها وتغرسها وسط الفناء الفسيح وتروح تسقيها يوماً مثلما تطالع تأثير وجودها كنخلة.... انها تعيد اكسسوار بيتها في البصرة وترسم خارطته ليكون مقارباً للذي هناك))**[١٩].

إذن ((الغطاء الثقافي))[٢٠] Cultural Cover الذي حصل عليه زيد الشهيد كان بمثابة درع احتمى به الشهيد من قسوة الظروف المحيطة وفي نفس الوقت كان أشبه بلقاحات تحصَّن بها الشهيد منذُ صباه يشبع به غريزته الأدبية متى شاء. فلم تكن حياة الشهيد داخل بيته تصاحبها فجوة ثقافية بل على العكس كان تواصل بين الثقافتين ثقافة الأب وثقافة الاخوان.

ومن هنا نستدل على أن " لب الثقافة الأولى " هو البيت، الذي مثل (لوازم النص)[٢١]Paratext في كثير من نتاج الروائي إذ نصه لم يظهر عارياً بل رافقته الكثير من اللوازم.

تشاركت عدة حوافز "حاضر مشترك" في صبّ قوالب سرده الروائي حمل هذا الحافز(البيت) لثقافتين الأولى شعبية باعتبار مدينة السماوة من المدن الشعبية الفقيرة وما أُحيط بها من أزقة ومناطق ريفية، وثقافة عالية إنْ صح التعبير نتيجة ما احتوته مكتبة البيت من مجلدات وكتب حملت ثقافات مختلفة محلية (عربية) وأجنبية عالمية، الشهيد كان (حامل الثقافة) التي بدوره نقلها إلى مخياله ومن ثم اشتركت مع حوافز أُخرى اسهمت في إظهار له اسم لامع بين المبدعين.

- **مدينة السماوة**

تُعد ((المدينة ظاهرة سيموطيقية تتحقق في الوعي من خلال الممارسات الحياتية، فالذي يعيش فيها يعيها على مستويات مختلفة، منها المستوى السيموطيقي))[٢٢]. وهي

أماكن مفتوحة وفضاء مفتوح يجتمع فيه أشخاص على اختلاف مستوياتهم الثقافية تتماشج بينهم صلة قرابة أو صداقة أو لا شيء من ذلك تزداد فيه الكثافة العالية من الناس.

الشهيد عاش في مدينته (السماوة) تلك المدينة التي احتضنت الكثير من الفقراء ولا زالت كذلك فكان ولا زال مؤرخاً لمدينته ((وما من شك أنَّ المرجعية الثقافية تمنح المتن الروائي هويته، وتوثق صلته بالمكان أو الحيز الذي تدور فيه الأحداث))[٢٣].

وهو ما حصل تماماً عند الشهيد فجاءت " رواية شارع باتا" نسبة لشارع باتا الذي كان بمثابة أيقونة لمدينة السماوة، ورواية " تراجيديا مدينة" التي حمل آهات ومآسي المدينة، ولا نبتعد كثيراً رواية "سبت يا ثلاثاء" كثيراً عند المدينة لتجسد حالتين مأساويتين الأولى اغتصاب نجاة والثانية تفجير الجسر.

الروائي " زيد الشهيد" كان وما زال موظّفاً لتاريخ مدينته على مختلف مستوياتها الريفية والقروية والحضرية إذ كانت هذهِ المدينة " مدينة كلكامش" ومنبع الثورات " ثورة العشرين" التفّت بما فيها حول مخيلة الشهيد فجعلت ما فيها مصدر إلهام وينبوع غير نافذ يجري ماؤه في بحر الرواية على وجه الخصوص. **((غادر بزمالة قصد الحصول على شهادة البكالوريوس في التاريخ واضعاً في ذهنه أنْ يكون يوماً ما منتقياً لاسيما وأوروك لا تبعد عن السماوة غير ثلاثين ميلاً، وجلجامش ينام هناك. يحلم أشرف بهمة كلما وضع رأسه على الوسادة وتساءل متى تتحقق أمنية ارتقائه منقباً يدخل على شعب أوروك ويدور في شوارع وأزقة المدينة))**[٢٤].

لم تكن الشوارع " العكود" كثيرة لصغر المدينة ولكن بالرغم من قلتها كانت كثيرة العطاء وتحمل محفزات وأيقونات ثقافية بمثابة سراج أو عنوان دال.

((تجاوز الأزقة المتداخلة دون الشعور باجتيازها... الشارع من كشف له ذلك... الشارع كان حاضراً وليس كالحضور الكاذب لصديقه الرسام))[٢٥].

وكما وصف " جيرار جينت" الشارع بأنَّه ((فضاء مفتوح ومحصور، في الوقت نفسه فهو مفتوحة من منفذيه الذين تأتي وتغادر منهما، وبينما نتوقف، ونتجول، ونلتقي بالآخرين، والشارع يحصرنا وينغلق علينا من جانبيه))[٢٦].

فالبيئة بما فيها من غنى وفقر وأحداث وثورات عبر عصور مختلفة عاشها الاديب أو سمع أو قرأ عنها كانت حاضرة في منجزه الروائي وهذا الحضور لم يكن وصفاً عابراً أو مداد على ورق، إنّما كان بمثابة " عتاد اكاديمي " بمثابة عناوين، وفصول، وهوامش، ومحتويات، ومصادر، كونت ورتبت أثاثه الروائي.

منجزه الروائي كان متنوعاً لُبناته الأساسية مختلطة بين التاريخ والتراث والأسطورة والبيئة " المدينة والوطن " والثورات والانتفاضات والحياة الاقتصادية كل هذه الجوانب كانت حاضرة في مخيلته الأدبية. ومصدر الهام للكاتب ومحفز لا ينتهي فعله، إذ اذا انتهى من عمل توالد عمل آخر مكمّل أو منفصل عن العمل الاول.

((أذكر اني تعديت سوق الصفّارين بعدما كانت مطارقهم تضرب على الناس فتنتج زقورات معابد، بوابات آلهة عشتار وجنائن معلقة، مسلة حمورابي عليها شريعته وختم اسطواني لعهد بابلي قديم، دُمىً لرجالٍ ونساء وفتية وصبايا لعصور مختلفة مكتوفي الأيدي خشوعاً وتضرعاً لآلهة وملوك، رأس امرأة يتزين بأوراق شجر وخرزٍ، أسد يفترس إنساناً، لبؤة جريحة وجلجامش منتصباً يحتضن بيسراه شبلاً وباليمين يمسك صولجان الملوكية))[٢٧].

واذا نظرنا إلى طبيعة المجتمع الذي عاشه الشهيد لوجدنا فيه ايديولوجيات متعددة متصلة بقيم ثقافية مختلفة واجتماعية وسياسية وبما أنَّ ((الأدب هو موقف من الحياة وهذا الموقف هو " ايديولوجيا " الكاتب التي تؤثر فيه (رؤيته) وتفسيره للعلاقات بين الناس.... هكذا تقتحم الايديولوجيا النص الأدبي، ببوصفها مكوناته الأدبية، إذ لا يمكن بناء نص روائي دون استحضار هذه المادة الأوَّلية في ذهن المبدع، وبالتالي في المتن الروائي))[٢٨].

زيد الشهيد أشبه بمؤرخ لمدينته وهذا العمل مطلوب لكل روائي ناجح عليه أنْ يلم بالأحداث فبلزاك كان مؤرخاً لفرنسا في أغلب رواياته والأقرب من بلزاك يأتي محفوظ احتوت رواياته أغلبها تأرخة لمصر.

((شارع باتا شهد ما يمكن للتاريخ أن لا ينساه، وليس للذاكرة أن تتجاوزه.. لطالما جرت على أديمه دربكات خيول الجندرمة العثمانية وضربات كعوب احذية الدرك وهي تُرهب سكان المدينة وتذكرهم حال ظهورها من وراءِ شط الفرات قادمة من ثكنتها صوب القشلة))[٢٩].

وكما قلنا بأن " السماوة " مدينة الأديب حملت ثقافة ((الثقافة الفرعية))[٣٠] Subculture مع الثقافة الرئيسة وهذه الثقافة الفرعية " المحلية " وعناصرها المكونة لها من لهجة ودين ومذهب وكل مكونات الميمات الرئيسة الخمسة (المأكل- المشرب- الملبس- المسكن- المركب) منها استمرت الثقافة القومية وهذه العناصر والركائز كانت حاضرة في نتاجه ومقومة له.

إذ نرى " غرس الثقافة " كانت متواجدة والمحافظة عليها من جيل إلى جيل فهي بمثابة عملية تعلمية عبر اجيال متعاقبة وكان للشهيد نصيب من هذا (الغرس الثقافي) من خلال دراسته في المراحل الدراسية المختلفة.

وقبل أن ننهى الحديث عن المدينة نقول بأن المنطقة الثقافية الاولى لزيد الشهيد هي السماوة بما احتوت من جغرافيا مشتركة مع سكانها في اللغة والتراث والعادات والتقاليد والدين مشكلَّة تكيف ثقافي عند الشهيد يلجأ اليه في تأثيث عمارة رواياته، لكن هذا لا يعني أنَّ الشهيد اقتصر على هذه الثقافة وإنَّما حافظ عليها وأسند اليها ثقافات متعددة سيأتي الكلام عنها لاحقاً. يقول غاستون باشلار: ((إنَّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لامبالياً ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، اننا ننجذب نحوه لأنَّه يكشف الوجود في حدود تتم بالحماية في كل صورة))[٣١].

المقاهي:

يُعد المقهى ((علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي))[٣٢]، إذ لا يكتمل المشهد الستيني إلّا من خلال الأمسيات الثقافية التي كانت يتداولونها في المقاهي بمثابة خشبة المسرح التي تنهل منها سُبل المثاقفة والتحاور والتباحث فيما بين الادباء، فمن خلال المقاهي تنطلق محفزات الإرث اللغوي والادبي متكونة من خلال مجموعات تشق طريقها ويتمثل ريعها من خلال النشر والتوظيف في الصحف والمجلات لذلك كانت أشبه بسوق عكاظ تعج بالحياة الثقافية الادبية المفعمة[٣٣]؛ فمن خلال القراءة لكثير من رواياته تبين لي بأن " الشهيد " أحد افراد هذا الجيل المواظبين في الجلوس مقيدة يمنح الانسان الجالس فيه، الاحساس بالألفة والطمأنينة وبالأخص المقاهي المنتشرة في مدينة السماوة على الرغم من قلتها وضيقها، فكل أديب يكون ميّالاً بالدرجة الاولى للمدينة التي نشأ فيها " مسقط الرأس " بصورة خاصة وبلده " بغداد " بصورة عامة إذ يأتي مقهى الصفاء بمثابة منتدى أدبي أو عكاظ برؤية الان.

فعلى الرغم من ضيق العامة في أغلب المقاهي إلا انها ذات مساحة واسعة وكبيرة في ينبوع الثقافة والتحاور، فالحدود ضمن مقاسات على واقع الارض غير مساوية لمقاسات التثاقف الناتج منها. المقهى كان احد الوسائل المهمة التي ساعدت الادباء والكتاب في نضج كتاباتهم.

فالمقهى شفرة مكانية صنعتها الحاجة الاجتماعية وجعلت منه مكاناً محبباً، يبقى محط اهتمام بشري وعامل جذب اجتماعي يستطيع من خلاله الانسان ذاته التواصلية مع الآخر. ففي المقاهي حوارات مهمة عن السياسة وعن الفن (الرسم – النحت) وعن الأدب، فالمقهى مركز جذب لكل الشرائح جعلت من الكاتب مغذيات غذت فكره من خلال ما أُحيط بالمقاهي من "ثقافة شعبية، ثقافة الفطرة، وثقافة الجهل" على الرغم من أنَّ الأخيرة تناقض بالمصطلح من الظن السائد هو أن الثقافة نقيض الجهل ولا يمكن أن يجتمعا.

لكن المراقب المتابع لما يراه يجد أن ثمة ثقافة تقف وراء كل سلوك جاهل، ثقافة تصوره على أنه السلوك الطبيعي لمواقف لمقتضى الحال، والمعبر عن صلابة صاحبه وحرصه على المصالح العامة وغير ذلك من مسوغات يقبلها الكثيرون[٣٤] باعتبار مدينة (السماوة) مدينة ريفية في أغلب مناطقها إذ أغلب السكان المتواجد فيها هم فقراء تأتي ((ثقافة الفقر))[٣٥] هذا المصطلح الذي يتناول حياة الأفراد الريفية الممزوجة مع الحضرية وما ترتب عليها من حرمان اقتصادي وفكري نتيجة هزائم وحروب وتضييق حريات.

ومن هنا نلاحظ أنَّ المقهى أو المقاهي لم تكن تقدم المحفزات للأديب على طبقٍ من ذهب فهي ليست ببضاعة معروضة في المقهى، يأتي الاديب أو الكاتب ويملأ جعبته منها ويخرج، بل كانت تثوير للأفكار ومؤشر لمعاناة الكثير من الناس فهي محط " استقبال" و " محطة انتظار" يمر من خلالها قطار الأفكار، محملاً بفيض ما كان متستر خلف آهات الصبيان والمشايخ الكبار.

((إنَّ المقهى الذي يفرد ذراعيه لرواده إنَّما يجسد حقيقة المنفتح على الذوات التائقة إلى الأحلام. فلقد شكّلت المقاهي وبالخصوص مقاهي العاصمة كينونات ثقافية استيقظت من خلال وجودها رموزاً كان لها حضور بارز وواسع في ميدان الثقافة العراقية، إذ في فضائها تُعلن الأفكار، وإبراز الذات بعدد الكتب، عدد القراءات، اسماء المقروئين وتفاوت أهميتهم))[٣٦].

لا يخفى على أحد مقهى "حسن عجمي" و "مقهى البرازيلية" و " مقهى الشابندر" في السبعينات إذ عبد الرحمن مجيد الربيعي، وموسى كريدي وغازي عبادي ومحمد خضير وكاظم الحجاج اللذين أتى بهما القطار من البصرة يسجلا حضوراً ثقافياً تعبر عنه التحيات المتبادلة مع الأدباء.

ومن الموصل يجلس محمود جنداري وعمر الطالب فيذهب الشهيد مع بعض أصدقائه الداخلين على المقهى رواداً طارئين حادهم الفضول لرؤية اولئك الأدباء والفنانين التي تتواجد صورهم في المجلات والجرائد. وقد يتداخلون معهم في حوار خجول بوصفهم

كتّاب وهم تلامذة في مدرسة الأدب[٣٧]، إذ جاء التوظيف في رواية شارع باتا **((مقاهي شارع باتا متناثرة أو متوزعة بلا نظام؛ وكان السماوي كلما ألفى نفسه يعيش البطالة وما زالت فيه قدرة على العمل فكر في افتتاح مقهى.. المقهى ميدان جذب لمن يبغي الفرجة. يجلس الزبون على التخت الخشبي ويتكئ. أمامه المارة من مختلف المشارب واللباس والتصرف...))**[٣٨].

وكذلك أيضاً في الرواية نفسها **((فهي الأرض التي انطلق منها الأدب الجديد، وشق طريقه في الصحف والمجلات وفرض وجوده على صفحاتها، وهكذا لا نغالي إذا قلنا أنَّ الحياة الثقافية نفسها كانت امتداداً لها يدور على تخوت المقاهي وبين جدرانها))**[٣٩].

وإذا انتقلنا إلى الثمانينات إذ برز " للشهيد" شيء كتبه في الجرائد والمجلات صار يعتاد على زيارة المقاهي زيارة مختلفة عن السابق رغبة في التحاور وتبادل الرؤى فيما بينهم وعند خروجهم يحصد كل واحد ما عند الآخر ويفرغ ما عنده.

إنَّ التنافذ الثقافي الموفي الذي يتصوره المثقف ضرورة بشرية لابدّ منها فالخبرات لا تحيا وتعيش معافاة إنْ لَمْ تتناسل وتتكاثر وتعيش الحياة الصحيحة المبتغاة. ووصف المقهى ((بأنَّه كرسي التأمّل للشارع))[٤٠].

((اتخذنا الطريق خارجين من شارع باتا باتجاه شارع الجسر ثمَّ انعطفنا شمالاً فجلسنا عند أوَّل مقهى تتوزع كراسيه على الرصيف المحاذي للنهر تأتينا رايحة دخان النراجيل))[٤١].

وكما ذكرنا سابقاً أنَّ في "السماوة" لا توجد مقاهي كثيرة مقهى هنا وآخر هناك يختلف التثاقف فيها عمّا ذكرناه سابقاً.

زيد الشهيد ذكر في رواياته مقهى عمان ومقهى العاصمة ومقهى بغداد عندما كان الحصار مفروض على العراق وكان العراقيون يهاجرون فكان استقبال حار للعراقيين وتساؤلات عدّة عن مدنهم وعن أحوالهم... وهذا الحديث سيأتي الكلام عنه في الرحلات.

وما كان لهذه الأماكن المفتوحة ((لها أهمية قصوى في تشكيل الفرد وأحاسيسه وانفعالاته من خلال احساسه بالانتماء إلى ذلك المكان، إذ تراه يُعبر عن نفسه من خلال أشكال المكان المتفاوتة ويكسب معاني متعددة بتعدد الأمكنة التي يرتادها))[٤٢].

أصبحت المقاهي عنواناً تتجسد فيه روح الشعوب وعراقته ومركز استقطاب للمثقفين والأدباء "قهوة الشط" في مركز العاصمة بغداد أشار إليها عبد الرحمن منيف في ثلاثيته "أرض السواد" في الجزء الأوّل منها، ثمَّ يأتي مقهى البلدية ومقهى البرلمان ومقهى ياسين.

ومن خلال ما جاء في التنشئة الثقافية (البيئة) على مستوياتها المذكورة نستدل على أنَّ البيئة كان لها دور بارز في مرجعيات الأديب بوصفها أحد مقومات السجل الثقافي له، هذا وهي مؤثر واضح وملموس لتشكيل مرحلة الأصل الثقافي فالذخيرة الثقافية لم يحصل عليها زيد الشهيد من غير تنشئة أو عناد ولم تكن وليدة ليلة وضحاها وإنَّما كانت لمرحلة عمرية ليست بقصيرة حصد من خلالها الشهيد ثراء لغوي وأدبي وكل هذا الأمر الذي كوَّن الأصل الثقافي للشهيد كان بمثابة صقل مخيلته مستثمراً من طاقاته وشكيمته في مرحلة الانتاج والإبداع، وهذا يقودنا إلى أنَّ الشهيد لم يكن نتاجه يعتمد على أرضية هشة قابلة للاضمحلال وإنَّما بنى لنفسه ولذائقته الثقافية حصناً قوياً يستطيع من خلاله أنْ يظهر له اسماً لامعاً بين الأدباء.

النتائج:

١- الشهيد استثمر كل ما وصلت اليه ذائقته الادبية موظفاً اياها في النتاجات المتنوعة.

٢-لم يكن البيت بمعزل عن النتاج، إنّما احتوى على الكثير من منابع العلم من الاهل (الاب- الاخوة) وما تضمن من كتب يسد من خلالها رمق القراءة.

٣-مخالطة الصفوة محلياً وخارجياً من كتّاب وادباء وشعراء واساتذة اكاديميين اغترف منها زيد الشهيد مقومات لبناء نتاجه الروائي.

٤-الإرث المحلي لمدينة السماوة خاصة والعراق عامة كان نصب عين الشهيد في بلورت النتاج.

٥-الكثير من الافكار والرؤى استنبطها الشهيد من خلال ترجمة روايات عالمية وقصص اجنبية نقل من خلالها الثقافات المختلفة وجعلها في سواد سرده.

٦-الغطاء الثقافي والذاكرة الثقافية كان عاملاً مساعداً في تكوين النتاج الادبي.

الهوامش:

---

(١) فعل الكتابة في تفكير عبد الملك مرتاض النقدي نحو رؤية حداثية للتراث البلاغي، بحث تقدّمت به الاستاذة صليحة بردي، جامعة الشلف، الجزائر، ص: ٣.

(٢) المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب ، ادريس بلميح، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة ، ط/١ ١٩٩٥، ص: ٢٨٢.

(٣) من يروي الرواية، شعرية المسرود فولفغانغ كاسبر، ترجمة: عدنان محمود، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ط/ ٢٠١٠، ص: ٥٩.

(٤) جاسم وجوليا، زيد الشهيد،، دار الوثائق ببغداد، ط١، ٢٠١٦ ، ص: ٩٨.

(٥) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، دار الجيل- بيروت، ص: ٦٤٠.

(٦) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعاضدية العالمية للطبع والنشر- صفافي تونس، ص: ٤٩.

(٧) تداخل الأنواع الأدبية في الرواية العربية المعاصرة قراءة في نماذج، اطروحة دكتوراه، الباحثة كريمة غيزي، جامعة أبي بكر بلقادير- الجزائر، ص: ٢٧٠.

(٨) دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (دون. ت)، (دون. ط)، ص: ٢٦٩.

(٩) المصدر نفسه، ص: ٢٧١.

(١٠) الخطاب النقدي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، الدكتورة هيام عبد زيد عطية، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٢، ص: ٤٨٨.

(١١) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٨٤، ص: ٩

(*) بول إيلوار هو الاسم الأدبي ليوجين إميل بول جريندل، شاعر فرنسي.

(١٢) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، ص: ٦١.

(١٣) الليل في نعمائه، زيد الشهيد، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط١، ٢٠١٦، ص: ٣٤.

(١٤) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، ص:٩.

(١٥) تراجيديا مدينة، زيد الشهيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الصنايع، ط١، ٢٠١٤، ص:٣٩.

(١٦) شارع باتا رواية، زيد الشهيد، دار الكتب والوثائق، بغداد، ص:١٧٧.

(١٧) لقاء معه في ٢٠١٩/٣/١٥ في الصوب الصغير في مدينة السماوة وكانت نظرته هكذا.

(١٨) دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل مراجعة د. سمير الشيخ، ص:١٧٥.

(١٩) الليل في نعمائه، رواية زيد الشهيد، ص:٣١.

(٢٠) دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل مراجعة د. سمير الشيخ، ص: ٢٣٤.

(٢١) معجم مصطلحات نقد الرواية، الدكتور لطيف زيتوني، مكتبة لبنان، دار النهار، للنشر، ط ١، ٢٠٠٢، ص: ١٣٩.

(٢٢) القارئ والنص العلامة والدلالة، سيزا قاسم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص: ٤٧.

(٢٣) مساءلة النص الروائي في السرديات العربية المعاصرة، الاستاذ الدكتور الرشيد بو شعير، ط١، أبو ظبي هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ٢٠١٠، ص: ٦٣٧.

(٢٤) شارع باتا رواية، زيد الشهيد، ص:٨٣.

(٢٥) الليل في نعمائه رواية، زيد الشهيد، ص:٩٠–٩١.

(٢٦) الفضاء الروائي، جيرار جينت وآخرون، ترجمة عبد الرحيم خزعل، الدار البيضاء، المغرب ط ٢٠٠٢١، ص:١٣٩.

(٢٧) جاسم وجوليا رواية، زيد الشهيد، ص:١٩١.

(٢٨) فضاء النص الروائي، محمد عزّامّ، مقاربة بنيوية في أدب نبيل سيلمان، دار الحوار للنشر والتوزيع ط / ١ ١٩٩٦، ص:١٤٥.

(٢٩) شارع باتا رواية زيد الشهيد، ص:٤٨.

(٣٠) دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، د. سمير الخليل ص:١٢٢.

(٣١) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط/٣ بيروت ١٩٨٤، ص:٣١.

(٣٢) جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر نابلسي، المؤسسة العربية العامة للدراسات، بيروت ط/١ ١٩٩٤، ص:١٩٥.

(٣٣) يُنظر: الموجه الصاخبة شعر في العراق، سامي مهدي، ط/٢٠٠٤، دار الكتب والوثائق بغداد، ص:٣١.

(٣٤) دليل المصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل مراجعة وتدقيق، د. سمير الشيخ، ص:٩٩.

(٣٥) م. ن، ص: ١٢٦

(٣٦) رسالة مرسلة من زيد الشهيد للباحث بتاريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠١٩ بالإضافة إلى اللقاء الذي تحقق في منزله.

(٣٧) لقاء أجراه الباحث مع زيد الشهيد في المثنى بتاريخ ١٠/ ٦/ ٢٠١٩.

(٣٨) شارع باتا، ص: ٥٨.

(٣٩) الموجة الصاخبة شعر التسعينات في العراق، سامي مهدي، ص: ٣١.

(٤٠) جماليات الرواية العربية، شاكر نابلسي، ص: ٦٥.

(٤١) شارع باتا، ص: ٦٢.

(٤٢) بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، عدي عدنان، ص: ١٨٠، نقلاً عن جماليات المكان في رواية (رحمة) لنجاة فرهد، رسالة ماجستير، الباحثة: سعاد مثلف، جامعة محمد خضير بسكرة الجزائر، ص: ٤٤.

المصادر والمراجع:

- بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، عدي عدنان، ص: ١٨٠، نقلاً عن جماليات المكان في رواية (رحمة) لنجاة فرهد، رسالة ماجستير، الباحثة: سعاد مثلف، جامعة محمد خضير بسكرة الجزائر.
- تداخل الأنواع الأدبية في الرواية العربية المعاصرة قراءة في نماذج، اطروحة دكتوراه، الباحثة كريمة غيزي، جامعة أبي بكر بلقادير– الجزائر.
- تراجيديا مدينة، زيد الشهيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الصنايع، ط١، ٢٠١٤.
- جاسم وجوليا، زيد الشهيد،، دار الوثائق ببغداد، ط١، ٢٠١٦.
- جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر نابلسي، المؤسسة العربية العامة للدراسات، بيروت ط/١ ١٩٩٤.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط/٣ بيروت ١٩٨٤.
- الخطاب النقدي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، الدكتورة هيام عبد زيد عطية، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٢.
- دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (دون. ت)، (دون. ط).
- رسالة مرسلة من زيد الشهيد للباحث بتاريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠١٩ بالإضافة إلى اللقاء الذي تحقق في منزله.
- شارع باتا رواية، زيد الشهيد، دار الكتب والوثائق، بغداد.
- الفضاء الروائي، جيرار جينت وآخرون، ترجمة عبد الرحيم خزعل، الدار البيضاء، المغرب ط ٢٠٠٢١.
- فضاء النص الروائي، محمد عزّامّ، مقاربة بنيوية في أدب نبيل سيلمان، دار الحوار للنشر والتوزيع ط/ ١ ١٩٩٦،.
- فعل الكتابة في تفكير عبد الملك مرتاض النقدي نحو رؤية حداثية للتراث البلاغي، بحث تقدّمت به الاستاذة صليحة بردي، جامعة الشلف، الجزائر.
- القارئ والنص العلامة والدلالة، سيزا قاسم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.
- لقاء أجراه الباحث مع زيد الشهيد في المثنى بتاريخ ١٠/ ٦/ ٢٠١٩.
- لقاء معه في ٢٠١٩/٣/١٥ في الصوب الصغير في مدينة السماوة وكانت نظرته هكذا.
- الليل في نعمائه، زيد الشهيد، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط١، ٢٠١٦.

- المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب ، ادريس بلميح، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة ، ط/١ ١٩٩٥.
- مساءلة النص الروائي في السرديات العربية المعاصرة، الاستاذ الدكتور الرشيد بو شعير، ط١، أبو ظبي هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ٢٠١٠.
- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعاضدية العالمية للطبع والنشر- صفافي تونس.
- معجم مصطلحات نقد الرواية، الدكتور لطيف زيتوني، مكتبة لبنان، دار النهار، للنشر، ط ١، ٢٠٠٢.
- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، دار الجيل- بيروت.
- من يروي الرواية، شعرية المسرود فولفغانغ كاسبر، ترجمة: عدنان محمود، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ط/ ٢٠١٠.
- الموجه الصاخبة شعر في العراق، سامي مهدي، ط/٢٠٠٤، دار الكتب والوثائق بغداد.